

روح المعاني

الذي رد كيده إلى الوسوسة ونظير هذا ماصح من قوله صلى الله عليه وسلم : نحن أحق بالشك من ابراهيم عليه السلام إذ قال له ربه : أولم تؤمن قال : بلى ولكن ليطمئن قلبي فسمى النبي صلى الله عليه وسلم التفاوت بين الايمان والاطمئنان شكاً باحياء الموتى وعلى هذا يقال : الوعد بالنصر في الدنيا لشخص قد يكون الشخص مؤمناً بانجازه ولكن قد يضطرب قلبه فيه فلا يطمئن فيكون فوات الاطمئنان طناً أنه كذب فالشك وطن أنه كذب من باب واحد وهذه الامور لاتقدح في الايمان الواجب وإن كان فيها ما هو ذنب فالانبياء عليهم السلام معصومون من الاقرار على ذلك كما في أفعالهم على ما عرف من أصول السنة والحديث وفي قص مثل ذلك عبرة للمؤمنين عليهم السلام فانهم لابد أن يبتلوا بما هو أكثر من ذلك فلا يأسوا إذا ابتلوا ويعلمون أنه قد ابتلى من هو خير منهم وكانت العاقبة إلى خير فيتيقن المرتاب ويتوب المذنب ويقوى إيمان المؤمن وبذلك يصح الاتساء بالانبياء ومن هنا قال سبحانه : لقد كان في قصصهم عبرة ولو كان المتبوع معصوما مطلقاً لايتأتى الإتساء فانه يقول : التابع أنا لست من جنسه فانه لا يذكر بذنب فاذا أذنب استيأس من المتابعة والافتداء لما أتى به من الذنب الذي يفسد المتابعة على القول بالعصمة بخلاف ما إذا علم أنه قد وقع شيء وجبر بالتوبة فانه يصح حينئذ أمر المتابعة كما قيل : أول من أذنب وأجرم ثم تاب وندم أبو البشر آدم .

ومن يشابهه أبه فما ظلم .

ولا يلزم الاقتداء بهم فيما نهوا عنه ووقع منهم ثم تابوا عنه لتحقيق الامر بالاقتداء بهم فيما أقروا له ولم ينهوا عنه ووقع منهم ولم يتوبوا منه وما ذكر ليس بدون المنسوخ من أفعالهم وإذا كان ماأمروا به وأببح لهم ثم نسخ تنقطع فيه المتابعة فما لم يؤمروا به ووقع منهم وتابوا عنه أخرى وأولى بانقطاع المتابعة فيه اه .

ولا يخفى أن ما ذكره مستلزم لجواز وقوع الكبائر من الانبياء عليهم السلام وحاشاهم من غير أن يقرؤا على ذلك والقول به جهل عظيم ولا يقدم عليه ذو قلب سليم على أن في كلامه بعد ما فيه وليته اكتفى بجعل الضمائر للرسل وتفسير الظن بالتوهم كما فعل غيره فانه ما لا بأس به وكذا لا بأس في حمل كلام ابن عباس على أنه أراد بالظن فيه ما هو على طريق الوسوسة ومثالها من حديث النفس فان ذلك غير الوسوسة المنزه عنها الانبياء عليهم السلام أو على أنه أراد بذلك المبالغة في التراخي وطول المدة على طريق الاستعارة التمثيلية بان شبه المبالغة في التراخي بظن الكذب باعتبار استلزم كل منهما لعدم ترتب المطلوب فاستعمل ما

لأحدهما في الآخر وقيل : ان الضمائر الثلاثة للمرسل اليهم لأن ذكر الرسل متقاص ذاك ونظير ذلك قوله : أملك البرق أرقبه فهاجا وبت اخاله دهما خلاجا فان ضمير اخاله للرعء ولم يصرح به بل اكتفى بوميص البرق عنه وان شئت قلت : ان ذكرهم قد جرى في قوله تعالى : أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيكون الضمير للذين من قبلهم ممن كذب الرسل عليهم السلام والمعنى ظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوه من النبوة وفيما وعدوا به من لم يؤمن من العقاب وروى ذلك عن ابن عباس أيضا فقد أخرج أبو عبيد وسعيد بن منصور والنسائي وابن جرير وغيرهم من طرق عنه رضي الله تعالى عنه أنه كان يقرأ كذبوا مخففة ويقول : حتى إذا يئس الرسل من قومهم أن يستجيبوا لهم وطن قومهم ان الرسل قد